Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا نلمح السر في تأخر المسلمين في هذا الزمن على رغم وفرة المصاحف في أيديهم، ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم، وعلى رغم كثرة عددهم، واتساع بلادهم، في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحا مدهشا، كان وما زال موضوع إعجاب التاريخ والمؤرخين. مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد، وضيق من الأرض، وخشونة من العيش، ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم، ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة.

أجل إن السر في ذلك هو أنهم توافروا على دراسة القرآن، واستخراج كنوز هدايته، يستعينون على هذه الثقافة العليا بمواهبهم الفطرية، وملكاتهم السليمة العربية من ناحية، وبما يشرح رسول الله ﷺ، ويبينه لهم بأقواله وأعماله وأخلاقه وسائر أحواله من ناحية أخرى.

وعلى ذلك كان همهم الأول هو القرآن الكريم يتلونه ويفهمونه قبل أن يحفظوه، ثم يعملون بتعاليمه بدقة ويهتدون بهديه في يقظة بهذا وحده صفت أرواحهم، وطهرت نفوسهم، وعظمت آثارهم، لأن الروح الإنساني هو أقوى شيء في هذا الوجود. فمتى صُفِّيَ وهُذِّبَ، وحسن توجيه وتعليمه، أتى بالعجب العجاب.

وكذلك أتت الأمة الإسلامية بالعجائب في الهداية والإرشاد وإنقاذ العالم وإصلاح البشر، وكتب الله لهم النصر والتأييد، حتى على أقوى الدول المعادية لدعوة الحق والإصلاح في ذلك العهد: دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان في الغرب.

أما غالب المسلمين اليوم. فقد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها. وأنغام يلحنونها، في المآتم والمقابر والدور. وبمصاحف يحملونها أو يودعونها بركة في البيوت. ونسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه، وفي الجلوس إليه والاستفادة من هديه وآدابه، ثم في الوقوف عند أوامره ومراضيه، والبعد عن مساخطه ونواهيه والله تعالى يقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩) ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) ويقول جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧).